أماكن التعلم وأثرها في الحياة الفكرية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرون الثلاثة الأولى من الهجرة

م.م. حمدي حسين علوان التميمي
معهد معلمات الدجيل

(خلاصة البحث)

أولت الكثير من الدراسات التاريخية الحديثة اهتماما خاصا من الناحية العلمية في الدولة العربية الإسلامية خلال العصور المختلفة اعتمادا على ما تضمنته المصادر التي وضعت حين ذاك ومنها ما جاء في وصف المراكز الفكرية والعلمية في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة ونظرا لتعددها وانتشارها على رقعة واسعة في العالم العربي الإسلامي فقد اشرنا إلى الكتابة عن (أماكن التعليم وأثرها في الحياة الفكرية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرون الثلاثة الأولى من الهجرة) لما كان لها في دور ريادي مؤثر في الحياة الفكرية والثقافية والسياسية حيث كان يناقش بين جدرانها أمورا وشؤونا هامة تمس الأمور الخاصة بالمسلمين ولتوضيح دور هذه المراكز الفكرية والعلمية في الدولة العربية الإسلامية وذلك للدور الذي لعبتها هذه الأماكن في الحياة الفكرية والسياسية والثقافية على حد سواء حيث كان يتداول فيها جميع الأمور الخاصة بالمسلمين .

تأسيس الدولة العربية الإسلامية

ما ان وصل الرسول (ص) إلى المدينة ، قام أولا ببناء مسجد قباء وسرعان ما غدا مركزا روحيا لممارسة الشعار وأداء العبادات ، ودائرة سياسية عسكرية لتوجيه

علاقات الدولة في الداخل والخارج، ومدرسة علمية وتشريعية يجتمع في ساحاتها أصحاب الرسول (ص) ، وقد دار في واحاتها الندوات وتلقى على منبرها المتواضع التعاليم والكلمات ، ومؤسسة اجتماعية لتعلم المسلمون فيها النظام والمساواة ويمارسون التوحيد الإخاء والانضباط ، ومما لا ريب فيه أن نقص أموال الدولة الإسلامية في سنيها الأولى وانشغالها الدائم في الداخل والخارج لم يمكنها من بناء وإنشاء مزيد من المؤسسات المتخصصة لكي تمارس كل منها المهمة التي عهدت إليها ، الأمر الذي جعل المسجد يزدحم بالوظائف والمهام ويغدوا على بساطته– مجمعا يلتقي فيه وتصدر منه كافة عمليات الحكومة ، وجزءا مهما من نشاطات الجماعة الإسلامية في علاقاتها الداخلية والخارجية على السواء .

لقد كان بناء المسجد هو الخلية الأولى للبناء الاجتماعي للأسرة والجماعة بوصفه أداة صهر المؤمنين بالإسلام في وحدة فكرية واحدة من خلال حلقات العلم والقضاء والعبادة والبيع والشراء وإقامة المناسبات المختلفة فلم يكن المسجد معبدا أو مقرا للصلاة وحدها بل كان شان الإسلام نفسه متكامل في مختلف جوانب الدين والسياسة والاجتماع. (1)

وكانت الأمة المسلمة الجديدة بحاجة إلى مركز يدير لها نشاطاتها الفكرية والسياسية والعسكرية والاجتماعية ، بحيث يتناسب هذا المركز مع قيم ومبادئ ذلك الدين الجديد ، فلم يفد النبي(ص) من المبادرة ببناء المسجد قبل الشروع بأي عمل أخر ،وهنا أشير إلى أمرا مهم هو أن قيمة المشاريع بحسن أدارتها ، لا كما نراه اليوم من مراكز الحكومات وقصور الحكام الفخمة وبلاطات الملوك ، وما مقدار البذخ والاصراف والهدر لأموال الشعوب ، وغالبا ما تكون تلك المشاريع بمستوى تلك الخسارات وطموح الشعوب المغلوبة حتى في أرقى الدول الصناعية العلمانية !؟.

فقد كان المسجد النبوي في غاية البساطة ، فهو مؤلف من أربعة جدران لا يعلو الواحد منها قامة إنسان وكان بدون سقف ثم وضع له سقف من سعف النخيل ،نعم في هذا المسجد الإدارة المتواضعة شع نور الحضارة الإسلامية التي أحدثت الثورات الفكرية والحضارية لكل الحضارات الأرضية التي كانت خاملة في رجعيتها وتعسفها وجمودها الحضاري المادي .(2)

المساجد

المساجد وهو جمع مسجد((وهو المكان الذي يسجد فيه وهو بالتحديد الارض الطاهره المخصصة للصلاة ،ولا يعد البناء بها شرطا ،وإنما يقتصر على التعين فقط لتكون وقفا لله تعالى))،والحديث عن المساجد الى جانب كونها أماكن لأداء العبادات ،يعني الحديث عن الاماكن الرئيسية لنشر الثقافة العربية الإسلامية، ومما لاشك فيه ان التعليم قد لازم الدعوة العربية الاسلامية منذ فجر انبثاقها ،وهذا ما أكدته اولى الآيات القرآنية الكريمة التي نزلت على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)،حيث أشارت الى العلم وبعض ادواته بقوله تعالى (اقرأبأسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان مالا يعلم) (سورة العلق ،1–5)

لذلك يعد المسجد من ضرورات الدولة العربية الإسلامية ،التي وضع اسسها رسولنا الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم)،حيث ان اول عمل قام به عند دخوله المدينة المنورة هو بناء المسجد(المسجد النبوي)كما اشرنا ليكون مركزا جامعا للمسلمين يؤدون فيه العبادة ،ومكانا لاجتماعهم للتداول في شؤون الأمة ،فكان مقرا سياسيا إضافة الى كونه مؤسسة دنيوية ،تقوم بمهام اجتماعية وتعليمية واقتصادية وعسكرية وبذلك يعد المسجد من اول المؤسسات الاسلامية التي انطلق منها شعاع العلم

فأصبحت بذلك دورا للعلم والتعليم ،تعقد فيها حلقات العلم والمعرفة حتى غدت اشبه بجامعات العلم والعلماء،ولم تقتصر المساجد فيما بعد على العلوم الدينية وإنما اهتمت بمختلف العلوم والمعارف حيث كانت تعقد فيها مجالس للعلماء والأدباء والشعراء للمذاكرة والمحاورة حتى وصفها بانها (مجالس الكرام)0 (3)

وقد ظهرت حلقات التعليم عند ظهور الإسلام ،وتعددت واستمرت وما تزال هذه الحلقات تعقد في المساجد حتى اليوم0 (4)

وقد عقدت أول حلقة في المسجد النبوي الشريف ،كان حول الرسول الكريم محمد ((صلى الله عليه وسلم))،اذ ذكرت المصادر (بينما الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)في المسجد اقبل ثلاثة نفر ،فاقبل اثنان الى الرسول (ص) وذهب واحد ، فإما احدهم فرأى فرجة فجلس ،وأما الأخر فجلس خلفهم ،وإما الأخر فأدبر ذاهبا)0 (5)

واتسعت حلقات العلم هذه في العصر الأموي لأكنها اتخذت إبعادا أوسع في العصر العباسي ،فكان إلى جانب حلقات علوم الدين حلقات في اللغة العربية بشكل خاص،قال ياقوت :((كان حماد بن سلمه بن دينار يمر بالحسن البصري في الجامع فيدعه ويذهب الى أصحاب العربية يتعلم منهم)) (6) أما في النحو،فحلى ياقوت عن الاخفش ((الاخفش هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة ،من أكابر أئمة النحويين البصريين ،وكان اعلم من اخذ عن سيبويه))قال:(وردت بغداد فرأيت مسجد ألكسائي (أبو الحسن علي بن حمزة) فصليت خلفه الغداة ،فلما أنفتل من صلاته وقعد وبين يديه الفراء والأحمر وبن سعادات ،سلمت عليه وسألته عن مائة مسالة ،فأجاب بجوابات خطاته في جميعها) 0(7) وأما الشعر فله حلقاته الخاصة يحضرها الكثير من طالبي الشعر ومحبي جمعه وسماعه ،فقد كان أبو العتاهية (ت

211هـ) يجلس وحوله الناس في مسجد بغداد0 (8)

وفي مسجد الرصافة كانت تعقد حلقات للشعراء ينشدون فيها الشعر0(9)

وفي سنة (253هـ) رحل الطبري الى مصر واملى في مسجد عمرو شعر الطرماح عند بيت المال في الجامع 0 (10) وكان الحديث النبوي الشريف من العلوم التي اهتم العلماء بتدريسها مع القرآن الكريم ،فدرس الأمام احمد بن حنبل الحديث النبوي في المسجد في بغداد ويملي على طلاب العلم وكان حاملا معه بعض الكتب التي أملاها من شيوخه في الحديث للإجابة على أسئلة طلابه ،وإذا لم يتأكد من الحديث ما نظر في كتبه0 (11) وهذا ما يؤكد دقة الأمام وضبطه لأقوال الرسول الكريم (ص)0

وأضافت حلقات القصاص مكانتها هي الآخرة فكان الناس يذكرون فيها ما نسوا من أمر الآخرة ،يعظونهم ويقدمون لهم الإرشادات والنصائح مع القصص ،وقد قص في مسجد البصرة(الاسواري) لمدة ست وثلاثين سنة ،وروى الجاحظ انه (كان يقص في فنون القصص ويحمل للقرآن نصيبا من ذلك (12) 0 وكان الإمام احمد بن حنبل يقول (يعجبني القصاص لأنهم يذكرون الميزان وعذاب القبر(13) ولتنوع حقول المعرفة في المساجد ،كان لكل فرع من فروع المعرفة حلقته او حلقاته الخاصة فهناك حلقة كانت تخص لأحد الفقهاء ،فحلقة لفقيه ،وحلقة لمحدث ،وحلقة لقصاص او لمفسر ، وحلقة للغوي وأخرى لنحوي وحلقة لمتكلم (14)

وقد نتج عن هذه الحلقات ،ظهور طائفة من العلماء والأدباء الذين تنوعت معارفهم تنوعا واسعا وقد أطلق عليهم اسم (المسجدين)، وكان لهم حلقات خاصة بالمساجد ،يسوقون فيها فنونا من الجدال والحوار في أي أمر بين لهم (15)0

وبتفاوت الزمن والتطور الحضاري الذي شهدته الدولة العربية الإسلامية تنوعت المساجد وكثر عددها ،فمنها المساجد الخاصة والمساجد العامة.

فأما المساجد الخاصة فيقصد بها المساجد التي تنتشر في أماكن بغداد المختلفة (وهي اصغر مساحة من المساجد الجامعة ،وقد تسمى باسم من أنشاها أو باسم المنطقة التي هي فيها)0 (16)

وقد كان لهذه المساجد دور كبير في نشر العلوم الدينية ،ومن علمائها ،احمد بن المقدام بن سليمان أبو الأشعث العجلي ،الذي قدم بغداد وحدث بها في المسجد السلولي في شهر رمضان سنة (249هـ)0 (17)

وأما المساجد الجامعة ،فهي من الأماكن الرئيسة التي كانت تعقد فيها الحلقات العلمية ،تميزت عن غيرها من الأماكن (لكونها كبيرة الحجم تحوي اكبر عدد من الطلاب ،وكذلك لكونها

أماكن عامة يتمكن كل مصلي من الورود إليها والاستماع إلى أصحاب الحلقات العلمية ، 0 (18) ومن علماء هذه المساجد ،عالم بن علي الواسطي المحدث ،نزل بغداد ومات سنة (221هـ)وكان يلقي دروس الحديث الشريف في مسجد الرصافة في بغداد وكان يستملي عليه هارون الديك ، وهارون مكحلة 0 (19) يجلس الشيخ (المعلم) في مكان بارز من المسجد قد يكون على منبرا أو منارة او جدار ليستمع أليه طلابه ويروا وجهه0 (20) .كان ابوعبيدة (ت 209هـ)يجلس الى جانب السارية في احد مساجد البصرة (21) 0 الذي لم تشخصه المصادر ،أما أبو حاتم السجستاني (ت 255هـ) فكان يعتلي المنبر في مسجد البصرة (22).

اما كيفية جلوس الطلبة حول شيخهم ،فقد كانوا يجلسون على بساط او حصير مكونين حلقة يتصدرهم شيخهم 0 (23)0ويجلب الطلبة معهم المواد التي يكتبون فيها ،في حين كان بعض الشيوخ لايسمح بالكتابة في حلقاتهم لعدم رغبتهم في الإملاء والكتابة 0 وكان بعض الحضور في الحلقة يتعلم من آداب الشيخ فضلا

عن علمه وذلك ان الحلقة في المسجد لم تكن لطالبي العلم فحسب وانما لطالبي الادب ،ويحضر في حلقة الأمام احمد بن حنبل (ت 241هـ) قسم يكتبون والقسم الأخر يتعلمون حسن الأدب وحسن الصمت 0(24) مما يدل على ان الحلقات العلمية لم تقتصر على العلم فحسب ،وانما على تعلم اداب الجلوس في المجالس العلمية 0

أما أوقات انعقاد الحلقات العلمية في المساجد ،فقد كان بعض الشيوخ يعقدون حلقاتهم في المسجد بعد صلاة الفجر وهذا مما يحمل طلاب العلم على الحضور مبكرين مستفيدين من قول الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم)على طلب العلم باكرا كما جاء في قوله (اغدوا في طلب العلم فاني سئلت ربي أن يبارك لأمتي بكورها)0(25) وكان البعض من العلماء يقيمون فيها بعد شروق الشمس ، كما كان يفعل الشافعي (ت 204هـ) اذ مر به إخوانه فقالوا له :يا أبا عبدا لله في الشمس فانشأ الأمام الشافعي يقول :

أهين لهم نفسي لاكرامها بهم ولم تكم النفس التي لاتهينا (26)

ومن العلماء والفقهاء من يجلس بعد صلاة الفجر الى الغروب بين اوقات الصلاة لطالبي العلم هو الحال يفعل الإمام أبو حنيفة في مسجد بغداد 0 (27)

وبعضهم كان يعقد بعد صلاة الظهر او العصر وذلك لان الحضور من الطلاب وعامة الناس يزداد بعد الانتهاء من كسب عيشهم ورزقهم 0(28)

الا ان اغلب الحلقات العلمية كانت تقام في الصباح الباكر ، لان عقل الإنسان في هذا الوقت يكون اكثر تقبلا للعلوم ،وكما يذكر الاصبهاني (لان العقل اجم) لقرب عهده بالصمت وبعد جوارحه من المعاصي 0 (29)

ونظرا للمكانة الكبيرة للمساجد عند المسلمين ،نرى اهتمام الخلفاء والامراء

والوزراء وعامة الناس بتعمير المساجد وبنائها والإشراف على أدارتها 0 فقد شيد في بغداد عدد من المساجد الجامعة ، من أشهرها مسجد أبي جعفر المنصور الذي شيد سنة (145هـ- 765م) والذي من اكبر مراكز التعليم في ذلك الوقت وتعددت فيه حلقات التعليم حتى زادت على خمسين حلقة عندما زاره محمد بن إدريس الشافعي في نهاية القرن الثاني الهجري (30) كما شيد الخليفة المعتصم بالله ، المسجد الجامع سنة(221هـ - 836م)في الشارع الأعظم (31)في مدينة سامراء ،وكذلك بنى الخليفة المتوكل على الله – الجامع الكبير (جامع الملوية)سنة (234هـ- 848م) 0 (32)

ومن الحلقات التي كانت تعقد في مساجد بغداد ،حلقة عاصم بن علي(عاصم بن علي بن عاصم الواسطي ،الحافظ ابو الحسن ،اخذ عن بن ابي ذئب وشعبة ،قدم بغداد فأزدحموا عليه من كل مكان) (ت 221هـ) في مسجد الرصافة ،كان عدد الحضور مائة الف طالب ،وقد ارسل الخليفة المعتصم لكي يعرف عدد الحضور في حلقته0 (33)

وربما هذا العدد مبالغ فيه ،على الرغم من ان هذا العدد مبالغ فيه الا انه يدل على ان عدد الطلاب كبير في حلقة عاصم بن علي0

وحلقة ابي بكر بن ابي شيبة (ت 235هـ) الذي حضر الى بغداد في مسجد الرصافة ،واجتمع عليه نحو ثلاثين إلف طالب (34)

وعلى الرغم من شهرة ابي شيبة العلمية الا ان هذا العدد كبير جدا ،اذا ما قيس بسعة مساجد بغداد في تلك الحقبة 0 وكانت بغداد حافلة بكبار الفقهاء والعلماء والشعراء والأدباء ،ويذكر اليعقوبي في كتابه البلدان بانه (وجد في بغداد ثلاثين الف مسجد 0 (35) وهذا العدد مبالغ فيه ايضا ،ولكن كثرتها تشير الى كثرة

طلبة العلم 0 وقد ادت هذه المساجد دورا بارزا في الحركة العلمية ولا سيما ان المدارس لم تكن معروفة آنذاك ،وهي المكان الذي يلتقي فيه العلماء والفقهاء والأدباء للمناقشات وتدارس العلوم في الحلقات ويجتمع حولهم طلاب العلم وعامة الناس للأخذ من علومهم ،وقد كان العلماء والفقهاء

يشجعون طلابهم ويحثونهم على طلب العلم فمن ذلك قول الإمام الشافعي (من تعلم القرآن جمل في عيون الناس ،ومن تعلم الحديث قويت حجته ،ومن تعلم النحو هيب ،ومن تعلم العربية رق قلبه ،ومن تعلم الحساب جل رأيه ،ومن تعلم الفقه نبل قدره0 (36)كما كانت المساجد مكانا لبعض العلماء لعرض مصنفاتهم وكتبهم على عامة الناس ،ويذكر ان الفراء كان يجلس للناس في مسجده الى جانب منزله ببغداد وقال ابن النديم (وكان الفراء يتفلسف في تاليفاته ومصنفاته يعني يسلك في الفاظه كلام الفلاسفة 0(37)

وهذه دلالة على تدريس علم الكلام الذي بدأيتطور ويزدهر في المساجد ،فضلا عن الفلسفة والعلوم الاخرى 0

ومن الجدير بالذكر انه كانت تلحق بكل مسجد مكتبة ضخمة تضم عددا كبيرا من الكتب في مختلف العلوم والفنون والتي كانت توقف في العادة على المساجد حتى لاتبددها الايدي 0 (38) لذا نرى ان حركة التعليم قد تطورت في المساجد تطورا ملحوظا منذ ان شيد اول مسجد في عصر الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم)حتى القرن الرابع الهجري ،فقد كان التعليم قاصرا على تعلم القرآن الكريم وحفظه ،وتطور الى دراسة العلوم اللغوية ثم الى دراسة الحديث وروايته ،وبعد ذلك اخذ الفقه واصوله طريقهما الى المسجد ،ثم بدأت المجادلات الكلامية تاخذ مكانها في رحاب المسجد ،وقد نشأ منها علم الكلام والفرق الاسلامية كالمعتزلة والاشاعرة

وغيرهما من الفرق الكلامية ،وفي القرن الثاني والثالث الهجريين نضجت حركة تدوين العلوم الشرعية وحركة تدوين العلوم اللسانية ،وصار المتعلم لاغنى له عن درس التفسير والقراءات والحديث والفقه والكلام والنحو واللغة والبيان والادب ،وبرزت في هذين القرنين حركة الترجمة ونقل علوم القدامى وتراثهم في فلسفة وهندسة وطب وكيمياء ،وهذا يؤدي بنا الى حقيقة حضارية واضحة ذلك ان طلب العلم في اول الأمر كان يتناول العلوم الدينية واللغوية ،ثم تناول بعد ذلك غيرهما من العلوم ،لهذا كانت الثقافة الاسلامية مزيجا من علوم العرب المسلمين ومن علوم الاقدمين ،وقد ادت المساجدالاسلامية دورا مهما وبارزا في الحركة العلمية التي سادت في القرن الثالث الهجري وكانت طليعة البعث الثقافي وقاعدة التعليم بوجه عام قبل ظهور المدارس في العالم الاسلامي 0 (39)

إضافة الى المساجد فقد كانت هناك وسائل علمية شاعت كثيرا مثل الرحلات العلمية والمجالس العلمية والمناظرات العلمية والكتابات وبيوت العلماء .

أهم المساجد في المدينة المنورة

أولا:- المسجد النبوي

كان للمسجد النبوي دور كبير في الحياة الفكرية في المدينة فقد شهد منذ تاسيسه في عهد الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) وفي العهود التاريخية اللاحقة حركة علمية واسعة فكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يباشر التعليم فيه بنفسه وذلك من مقتضيات رسالته وقد أوضح الله تعالى في القرآن الكريم ان من واجبات الرسول تعليم الناس ،وتوضيح المقاصد والأهداف الخاصة والعامة للدعوة الإسلامية 0 (40)

قال تعالى :(ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم

الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم) (سورة البقرة ،الاية 128) وقوله تعالى:(هوالذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة 0000)سورة الجمعه الاية 2 ،وغيرها وبذلك يعد الرسول محمد(صلى الله عليه وسلم) هو رائد التعليم في المدينة وقد نقل الكتاني عن كتاب القانون لليوسي مايؤيد ذلك فقال،واما التعليم بصورة التدريس فاصله ماكان الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) يفعله في مجالسه مع اصحابه من تبيين الاحكام والحكم والحقائق ،وتفسير الايات القرانية ،ويذكر فضائلها وخواصها وغيرذلك ،وهم في ذلك مجتمعون عليه 0 (41)

ونهل الصحابة بدورهم من علم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في المسجدالنبوي الشريف الشيء الكثير اذ تزخر كتب الصحاح والسير ، باخبار تلقي الصحابة للعلم من النبي (صلى الله عليه وسلم) في المسجد على شكل اسئلة يطرحونها عليه ،او حديث يحدثهم به، او غير ذلك ومن ذلك ما اورده البخاري في باب من سئل علما وهو مشتغل في حديثه 000

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : بينما النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في مجلس يحدث القوم ،جاءه اعرابي فقال متى الساعة ؟ فمضى رسول الله يحدث 00 ،قال : فاذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة ،قال كيف اضاعتها ؟ قال : اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة 0(42) ومثل ذلك مارواه أنس بن مالك (رضي الله عنه)قوله بينما نحن جلوس مع النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في المسجد دخل رجل على جمل فاناخه في المسجد ثم عقله ثم قال ايكم محمد؟والنبي متكيء بين ظهرانيهم ثم اقبل يساله والنبي (صلى الله عليه وسلم)يجيب عن اسئلته حتى انتهى منها 0 (43)

وثمة احاديث تشيد بفضل التعليم في مسجدالنبي (صلى الله عليه وسلم)بالمدينة منها ماورد عن سهل بن سعد (رضي الله عنه)قال ،قال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم))(من دخل مسجدي هذا ليتعلم خيرا او يعلمه كان بمنزلة المجاهد في سبيل الله 0 (44) والواقع فان المسجد النبوي كان المكان الملائم لاجتماع المسلمين وتدارسهم للعلم ،اذ حث النبي محمد ((صلى الله عليه وسلم)) الناس على التعلم فيه فخاطب أهل الصفة قائلا (افلا يغدوا احدكم الى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله خير له ناقتين وثلاث خير له من ثلاث واربع خير له من اربع)0(45)

وروي عن عبدالله بن عمر(رضي الله عنهما) قال ان رسول الله محمد(صلى الله عليه وسلم) مر بمجلسين في مسجده فقال : (كلاهما خير احدهما أفضل من صاحبه اما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه واما هؤلاء فيتعلمون الفقه والعلم ويعلمون الجاهل فهم أفضل وانما بعثت معلما ،قال ثم جلس فيهم)0 (46)

ولم يقتصر امر التعليم في المسجد النبوي بالمدينة على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وحده بل شاركه في ذلك جماعة من الصحابة (رضي الله عنهم)فمن عرف عن أسهامه في الحركة التعليمية ابان عهد النبوة نذكر ،عبدالله بن رواحه الأنصاري (ت8هـ) الذي كان يخلف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد قيامه فيجمع الناس ويذكرهم بالله ويفقههم فيما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فربما خرج عليهم رسول الله وهم مجتمعون عنده فيسكتون فيقعد أليهم ويأمرهم ان يأخذوا فيما كانوا فيه ويقول بهذا امرت 0 (47)

وكان عبدالله بن رواحة يدعو بعض الصحابة لعقد مجالس ليتذاكروا فيها الإيمان بالله وامور الاسلام فكان يقول :تعالوا نجلس فلنؤمن ساعة0 (48)

وكان عبادة بن الصامت الانصاري (ت 34هـ)ممن علم اهل الصفة في

المسجد النبوي وهو القائل :علمت ناسا من اهل الصفة الكتابة والقرآن0 (49)

فذكر ان جماعة من الصحابة شاركوا في تعليم وفود القبائل العربية الوافدة الى المدينة ومن يهاجر الى المدينة معلنا اسلامه فيروى عنه قوله :كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يشغل فاذا قدم الرجل مهاجرا على رسول الله دفعه الى رجل منا نعلمه القرآن 0 (50)

وعرف عن أبي بن كعب (ت 22هـ،وقيل 30هـ) انه علم في المسجد جماعة من وفود القبائل في عهد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في ذلك حين، قدوم وفد غامد على الرسول أتوا أبي بن كعب فعلمهم قرآنا 0 (51)

ومن رواد التعليم في المسجد النبوي على عهد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) سعد بن الربيع الخزرجي وبشير بن سعد بن ثعلبة وأبان بن سعيد بن العاص وغيرهم0 (52)

نظام الحلقات العلمية في المسجد النبوي

كان تلقي العلم يتم في المسجد النبوي على نظام الحلقات العلمية أي ان الذين يتلقون العلم يجلسون على الارض ويشكلون دائرة حول العالم الذي يستقبلهم بوجهه ويلقي عليهم الدرس او الموعظة او غير ذلك وربما يجلس على كرسي او مكان مرتفع كالمنصة ليظهر للجميع وينقل لنا القاضي عياض صورة لذلك فيقول : لم يكن مالك يجلس على المنصة الا اذا حدث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (53) وقد وردت ادلة كثيرة تبين ان التعليم كان يجري وفق نظام الحلقات العلمية في المسجد النبوي وغيره من مساجد المدينة ،فقد ذكر البخاري باباً سماه (من رأى فرجه في الحلقة فجلس فيها)،واورد حديثا عن ابي واقد الليثي ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم)بينما هو جالس في المسجد والناس معه اذا اقبل ثلاثة نفر فاقبل اثنان الى رسول الله

فوقفا فاما احدهما فراى فرجة في الحلقة فجلس فيها واما الاخر فجلس خلفهم 000 (54)

وبعد عهد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)زاد عدد هذه الحلقات التي كانت تعقد في المسجد وتنوعت اغراضها العلمية واتسمت لسماتا وآداب جليلة اضافة الى تعددها مما يدل على كثرتها ماروي عن جندب بن عبدالله البجلي قال اتيت المدينة ابتغاء العلم فدخلت مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فاذا الناس فيه حلق يتحدثون فجعلت امضي الحلق حتى اتيت حلقة فيها رجل شاحب قال فجلست اليه فتحدث بما قضى له ثم قام فسالت عنه بعدما قام قالوا هذا سيد المسلمين ابي بن كعب 0 (55)

وايضا مارواه شقين بن سلمة (رضي الله عنه)قال فقعدت في الحلق وفيهم اصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم وغيرهم 0 (56)

وتتناول في هذه المجالس الجليلة اكثر من علم فقد وصف مجلس عبدالله بن عباس (رضي الله عنهما)على سبيل المثال بانه عن عطاء ،مارايت مجلسا اكرم من مجلس ابن عباس اكثر فقها واعظم جفنة منه اصحاب القران يسالونه وعنده اصحاب الشعر يسالونه وعنده اصحاب النحو يسالونه كلهم يصدر في واد واسع 0(57)

ويبدو ان حلقة جابر بن عبدالله الانصاري (رضي الله عنه)العلمية كانت تدور حول الفقه والحديث ، أذ روي هشام بن عروة قائلا كان لجابر بن عبد الله حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم 0(58) خصص ابو هريرة (رضي الله عنه) حلقته يوم الجمعة عند منبر النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) للحديث عن النبي فقد روى عن عاصم بن محمد عن ابيه قال رأيت ابا هرير ة يخرج كل يوم جمعة فيقبض على رمانتي المنبر قائما ويقول حدثنا الصادق الصدوق (صلى الله عليه وسلم) فلا يزال

يحدث حتى اذا سمع فتح باب المقصورة لخروج الامام للصلاة جلس 0 (59) ويلاحظ ان حلقات مشاهير علماء المدينة الذين تصدروا للعلم كانت تمتد سنين فعند ذلك يكون للحلقة التي يراسها الشيخ مكان معلوم في المسجد يختلف اليه فيها طلبة العلم فهذا سعيد بن المسيب (ت 94هـ) لما بلغ مابلغ من مرتبة علمية اتخذ له مكانا معلوما في مسجد رسول الله يجلس فيه 0 (60) وتجري معظم المجالس العلمية (الحلقات) في اوقات منتظمة في المسجد النبوي اعتادة طالبوا العلم عليها حتى اصبحت امرا متعارف عليه فالبعض منها كان يعقد في اول النهار مثلا فقد روى عبد الرحمن بن ابي الموال قال رايت القاسم بن محمد (ت 108هـ) ياتي المسجد اول النهار فيصلي ركعتين ثم يجلس بين الناس فيسالونه 0 (61) وثمة اماكن اخرى ضمن اطار المسجد النبوي شهدت نشاطا فكريا منها الصفة التي تقع في مؤخرة المسجد والتي يتعلم منها اصحاب الصفة كما سبقت الاشارة الى ذلك ومنها رحبة البطيحاء فقد روى عن مالك بن انس انه بلغه ان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بنى رحبة في ناحية المسجد تسمى البطيحاء وقال من كان يريد ان يلغط او ينشد شعرا او يرفع صوته فليخرج الى هذه الرحبة 00 (62)

ومن الذين اشتهروا بالحلقات والمجالس العلمية في المسجد النبوي من التابعين واتباع التابعين فضلا عمن ذكروا أنفا : محمد بن يحيى بن حيان(ت 121هـ) ذكره خليفة ضمن الطبقة الثالثة من الانصار من اهل المدينة وقال يكنى ابا عبدالله توفي سنة احدى وعشرون ومائة 0 (63)كما ان للامام مالك بن انس المولود بالمدينة سنة93هـ حلقة علمية مشهورة في المسجد النبوي لاسيما انه درس مبكرا فيه واصبحت له حلقة في المسجد منذ سنة(118هـ) ،يقول شعبه قدمت المدينة بعد موت نافع بسنة والحلقة لمالك 0 (64)

وفي ختام كلامنا عن المجالس والحلقات العلمية وسماتها ومن اشتهر فيها لا بد لنا في الولوج الى جانب من ادابها فمن ادابها الصمت والانصات الى العالم . واتبع ذلك منذ عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) 0 (65)

وقد سبقت الاشارة الى قول عمر بن الخطاب في الحض على الوقار والسكينة والتواضع للعالم والمتعلم ((تعلموا العلم 0وتعلموا له الوقار والسكينة))0(66)

ومن اداب المجالس ان جميع الطلبة يعاملون سواء عند العالم ليس هناك فرق بين غني وفقير وتكون أحقية الجلوس في المكان لمن سبق فقد طلب من الامام مالك ان يكرم ويؤثر جعفر بن ابراهيم الطالبي في مجلسه فقال ماهو عندنا وغيره الا سواء انما هي مجالس العلم السابق اليها احق بها(67)كما يراعى حق الرجل في مجلسه اذا عاد اليه

ثانيا: **مسجد قباء**

بعد صول النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم)الى قباء في هجرته الى المدينة المنورة اقام بها اربعة ايام من يوم الاثنين الى يوم الجمعة وأسس فيها مسجد قباء (وصلى الجمعة في مسجد في بطن رانوناء في منتصف الطريق بين قباء والمدينة 0 (68)

ويظهر لنا من ظاهر هذا النص ان مسجد رانوناء المار ذكره هو اول مسجد اقيم في المدينة المنورة أي قبل مسجد قباء والذي يتبين لنا انه مصلى لم يبنى بعد وهو مايسمى لدى الفقهاء بالجبانة في ارض فضاء يقيمون فيها صلاة الجمعة وصلاة العيدين كما نرى في ايامنا هذه في بلاد اليمن وبعض من بلاد الحجاز ،لذلك فان مسجد قباء هذا يعتبر اول مسجد تولى النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بناءه في المدينة 0 (69)

ثالثا: **مسجد رانوناء**

ويسمى مسجد الجمعة لان النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) صلى فيه اول جمعة اثناء هجرته الى المدينة المنوره كما ذكرنا سابقا وهو مسجد يقع ببطن رانوناء في منتصف الطريق بين قباء والمدينة 0 (70)

رابعا: **مسجد الغمامة**

وهو المصلى الذي كان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)واصحابه يصلون فيه صلاة العيد وصلاة الاستسقاء وصلاة الغائب ،وقد بني لاول مرة في عهد عمر بن عبد العزيز والي المدينة المنورة (بعد عصر النبوة) واطلق عليه مسجد الغمامة وذلك لما يروى بان الشمس حجبت عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)عند صلاته بهذا المكان بغمامة0 (71)

خامسا: **مسجد الفتح**

ويسمى بهذا الاسم لان الله تعالى انزل سورة الفتح على رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في هذا المكان 0 او لان النصر على الاحزاب كان فتحا للاسلام وعرف المسجد كذلك بمسجد الاحزاب حيث دعا رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم) يوم الخندق على الاحزاب فيه ،كما عرف ايضا باسم المسجد الاعلى ولعل هذه التسمية بسبب وقوعه على جزء مرتفع من جبل (ملع) وكان المسجد في غزوة الاحزاب على شكل مصلى ويرجح ان يكون المصلى قد بني بعد ذلك بشكل مسجد برواق واحد على نظام المسجد النبوي 0 (72)

سادسا : **مسجد القبلتين**

اقيم هذا المسجد في عصر النبوة ،بناه سواد بن غنم بن كعب وسمي بهذا الاسم لان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) امر بان تستقبل الكعبة بدلا من بيت المقدس ويسمى كذلك بمسجد ابن سواد بن غنم بن كعب بينما كانت صلاة

الظهر بالمسجد ،وتذكر لنا الروايات بان المصلين في مسجد بني سواد اتاهم ات فاخبرهم بتحول القبلة وقد صلوا ركعتين فاستداروا الى جهة الكعبة فبذلك سمي مسجد القبلتين وقد حدث تحول القبلة في شهر شعبان عام (2 هجرية) حينما نزل قوله تعالى ((قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها)) (البقرة 144) 0 (73)

سابعا : **مسجد الفضيخ**

يقع هذا المسجد شرقي مسجد قباء في منطقة العوالي بالقرب من الحرة الشرقية وسمي بهذا الاسم لان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لما حاصر بني النضير في ربيع الاول من عام(4 هجرية) قرب خيمته في موضع قريب من هذا المسجد جاء تحريم الخمر وكان ابو ايوب الانصاري وبعض الصحابة معهم قربة بها خمر الفضيخ فسكبوه فاشتهر المكان بهذا الاسم وقد عرف هذا المسجد بعد عصر النبوة باسم مسجد الشمس ولعل ذلك بسبب شروق الشمس عليه قبل بقية المباني 0 (74)

ويوصف هذا المسجد بالصغر والمراد بصلاة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بذلك المحل في حصار بني النضير لايعني من ذلك اتخاذه مسجدا حينئذ فيجوز ان يكون بناءه مسجدا قد تأخر إلى زمن تحريم الخمر 0 (75)

ثامنا: **مسجد الضرار**:

وهذا المسجد بناه المنافقون مضاهاة لمسجد قباء وكانوا يجتمعون فيه ويعيبون رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ويستهزئون به وبالمسلمين ،محل في دار حذام بن خالد من بني عيد ابن زيد بن مالك وهو احد مؤسسي هذا المسجد مع رهط اخر عددهم اثنى عشر رجلا ويبدو انه حينما لبى النبي عليه الصلاة والسلام دعوة بني عمرو بن عوف الذين اقاموا مسجد قباء ليصلي فيه حسدهم بنو ضبيعة احد بني

عمرو بن عوف فامرهم زعيمهم ابو
عامر الملقب بالراهب (سماه النبي عليه السلام بالفاسق) ان يبنوا لهم مسجدا ويتخذوه مقرا لهم ،فدعوا النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ليصلي فيه فنزل منعه بقوله تعالى ((والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين)) الاية 3 من سورة التوبة ،فدعا رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)مالك بن الدخشم ومعن بن عدي واخاه عاصم فامرهم بالذهاب الى هذا المسجد وهدمه واحراقه 0 (76)

المساجد الصغيرة في احياء المدينة المنورة الاخرى

وتتواجد مساجد صغيرة اخرى اقيم بعضها في عصر النبوة في محلات المدينة المختلفة ومن هذه المساجد التي صلى فيها النبي (صلى الله عليه واله وسلم) او اختطها لاهل الحي :-

مسجد جهينة 0

مسجد بني زريق 0

مسجد بني ساعدة 0

مسجد بني خدارة

مسجد راتيح 0

مسجد واقم (وهو مسجد بني عبد الاشهل)0

مسجد بني غفار ، وقد صلى فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) 0

مسجد الراية في ثنية الوداع 0

وقد اورد السمهوري اسماء الكثير من المساجد التي صلى فيها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وذكر كذلك أسماء المواضع التي صلى فيها النبي عليه الصلاة والسلام ثم اقيمت فيها مساجد بعد عصر النبوة 0 (77)

ولقد حث رسول الله (صلى الله عليه وسلم)على بناء المساجد وروي عنه قوله ((من بنى مسجدا لله بنى الله له مثله في الجنة)) 0(78)

إضافة الى ذلك فان هناك عددا كبيرا من مساجد المحلات القريبة من مركز المدينة المنورة كانت تقيم صلاتها باذان بلال (رضي الله عنه)ويروى انه كان بالمدينة تسعة مساجد يسمع الناس فيها مؤذن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) فيصلون في مساجدهم 0 (79)

اما المساجد البعيدة فتقيم الصلاة باذانها ومع هذا فان صلاة الجمعة كانت لاتقام الا في المسجد النبوي وذلك لاتصال احياء المدينة بعضها ببعض 0

وصف المسجد النبوي

اختار النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) مكان المسجد وبيوته في المكان الذي بركت فيه الناقة وقال (هذا المنزل ان شاءالله)0(80)

وكان هذا المكان قد اتخذه اسعد بن زرارة مصلى للمسلمين في يثرب ويروى انه كان يصلي في بيته الجمعة بالمسلمين ويخطب فيهم مصعب بن عمير (رضي الله عنه) قبل مقدم رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)وكان مسجد اسعد بن زرارة ساحة محاطة بسور ليس له سقف وقبلة الى بيت المقدس وكان في الاصل مربدااو خانا للتمر يملكه ولدان يتيمان من بني النجار فاشتراه النبي (صلى الله عليه واله وسلم)منهما بعد ان دفع ثمن الارض من مال ابي بكررضي الله عنه 0(81)

وأقام رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) البناء الجديد بعد ان حسن موضعه بقطع اشجار النخيل ونقل قبور المشركين التي كانت هناك واخراج المياه الراكدة فيه ،وأرضه مستطيلة عرضها (30مترا) وطولها من جهة الشمال الى الجنوب (35مترا)والحق بها من الخارج بيتين بالجهة الشرقية خصص احدهما للسيدة سودة بنت زمعة ام المؤمنين

والاخر للسيدة عائشة ام المؤمنين (رضي الله عنهما)، اما طريقة الانشاء فقد عمل اساسهما بالحجر بعمق (1,5م) فعالوه حيطان من الطوب (اللبن) ولما اشتد الحر ظلل المسجد فعملت له اعمدة من جذوع النخيل ثم وضعت عليها الجسور الخشبية وغطي بالجريد والخوص وبعدها غطي السقف بالطين لمنع تسرب مياه (الامطار)وكان للمسجد من جهة القبلة (بيت المقدس)أي الحائط الشمالي ثلاثة أروقة بكل رواق ستة اعمدة (اسطوانات)وبمؤخرة المسجد أي الجهة الجنوبية ضفة أي ضله يأوي إليها المهاجرون الذين لا ديار لهم ولا مأوى ويبلغ ارتفاع سقف المسجد اكثر من ارتفاع قامة الإنسان أي حوالي (1,75م) وقيل غير ذلك فتحت في جدرانه عدة ابواب0 (82)

وبعد تحويل القبلة من بيت المقدس الى مكة المكرمة يوم الثلاثاء الخامس عشر من شعبان في السنة الثانية للهجرة اغلق باب الحائط الجنوبي وحل محله باب في الحائط الشمالي ،وللمسجد فناء واسع (حوش) يطل عليه بيت الصلاة وبعد ان ازداد عدد المصلين وبخاصة بعد فتح خيبر في محرم عام 7 هجريه وسع رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم)المسجد بعد ان اشترى عثمان بن عفان (رضي الله عنه)الارض من صاحبها الانصاري من جهة الغرب ليصبح المسجد بعد ذلك بقياس 45،50مترا وقد رفض رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)وضع أي زينة في المسجد وفي هذا دليل على حرمة او عدم جواز وضع الزينة في المساجد على ماعليه الكثير من مساجدنا في هذه الايام ،و رد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مالا جمع لهذا الغرض 0 (83)

لم يشتمل المسجد النبوي على مئذنة ولا محراب مجوف وقد اعتاد بلال (رضي الله عنه)يصعد الى سطح منزل لاسرة من بني النجار لكونه اعلى منزل حول

المسجد لاداء الاذان وهناك رواية تشير الى انه كان صعود على دعامة مربعة في دار عبدالله بن عمر (رضي الله عنهما)جنوبي المسجد فيرفع الأذان من فوقها 0 (84)وقد انشيء منبر لرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)من خشب الاثل يتكون من درجتين ومقعد ويرجح انشاؤه بين عامي 8‘9 هجرية بعد ان احتوى المسجد على مصطبة مرتفعة عن الارض و دخل عنصر اخر الى المسجد وهو القناديل التي جاء بها تميم الداربي وعلقها بالمسجد النبوي وقد امتدح رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)عمله هذا بقوله ((نورت الاسلام وحليت مسجده نور الله عليك في الدنيا والاخرة)) 0 (85) وقد كان المسجد قبل هذا يضاء باشعال القش عند صلاة العشاء فقط 0 (86)

الرحلات العلمية

من الوسائل العلمية التي اتبعها طالبوا العلم للاستزادة من معارف غيرهم وتنقلهم بين المدن الاسلامية او يسمى بالرحلات العلمية حتى غدت ضرورة للتحصيل العلمي عند العرب ، وقد عرفها العرب المسلمون منذ عهد الرسول الكريم(صلى الله عليه واله وسلم) ، حتى كان ياتي المسلمون الى الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) من مختلف الامصار ليستمعوا الى القران الكريم ويتفقهوا لتعاليم الاسلام ، ثم ينصرفون الى قومهم ليعلنوا اسلامهم (87).

ان الغرض من هذه الرحلات حين كان عامة وشاملة واستمر الحال في عهد الصحابة الراشدين والتابعين على هذا المنوال ، ثم ما لبثت ان ازدادت الرغبة في الرحلات في العصر العباسي من اجل العلم معتمدين على تعاليم القران الكريم والسنة النبوية الشريفة التي وردت في هذا الشان كقول رسولنا الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة)(88).

وبهذا فان ديننا الحنيف قد اعطاها مكانة كبيرة للعالم وطالب العلم وحثهم فيها على طلب المعرفة . وكان العلماء وطلاب العلم يرحلون من بلد الى اخر متنقلين في الدولة العربية الاسلامية غير مبالين بما يعترضهم من مشقة وعناء وعوز .(89)

وقد تنوعت الرحلات في طلب العلم في طلب العلم والمعرفة فمنهم من رحل لطلب العلوم الدينية من (حديث ، وفقه ، وتفسير) (90).

ومنهم من رحل في طلب العلوم اللغوية فهذا الكسائي العالم الكبير يمتثل لامر الخليل بن احمد الفراهيدي للذهاب الى البادية للاخذ من ادابها ولغتها ، حيث النقاء في اللغة والادب العربي بعيدا عن اللحن ، ولاسيما في فنون النحو والبلاغة والشعر . (91)

وفي الطب اشتهر عددا من العلماء برحلاتهم العلمية ، منهم حنين بن اسحق ، يوحنا بن ماسويه وغيرهم الذين دخلوا بلاد الروم ، فجاءوا بطرائف الكتب وغرائب المصنفات في الطب والفلسفة والهندسة .(92)

ومن بين العلماء الذين اشتهروا بكثرة رحلاتهم في طلب العلوم الدينية الامام الشافعي ابو عبد الله بن ادريس (ت: 204هـ/819م)والامام احمد بن حنبل (ت:241هـ/ 855م)حيث روي عن الامام الشافعي انه قال للامام احمد بن حنبل :(يا ابا عبد الله انت اعلم بالحديث مني فاذا صح الحديث فاعلمني حتى اذهب اليه شاميا كان او كوفيا او بصريا.(93).

ومنهم من رحل في طلب العلوم اللغوية ، فهذا الكسائي العالم الكبير يمتثل لامر الخليل بن احمد الفراهيدي بالذهاب الى البادية ، للاخذ من ادابهاولغتها ، حيث النقاء في اللغة والادب العربي بعيدا عن اللحن ، ولا سيما في فنون النحو والبلاغة والشعر .(94)

ومن المؤرخين والجغرافيين الذين عرفوا برحلاتهم العلمية والاستكشافية اليعقوبي ،الذي طاف البلدان ، وصنف في ذلك كتابا عرف بكتاب (البلدان) ، ذكر فيه المناطق والبلدان التي زارها في رحلاته ، وقد ابتدأ كتابه هذا بوصف مدن العراق ومنها بغداد وسامراء في الخصوص ، حيث يقول :(ذكرنا بغداد وسر من راى وبدئنا بهما لانهما مدينتا الملك ودار الخلافة و وصفنا ابتداء امر كل واحد منهما).(95).

ثم يولي وجهه صوب المشرق فيمر في بعض المدن العراقية كالمدائن وجلولاء ، ثم يتوغل في حدود ايران ، وبعد ان يجتاز هذه المناطق يجول جولة طويلة في هذه الربوع فيصف همدان واصفهان ونيسابور ومرو ، موليا اهتماما خاصا لاخراج تلك المدن والولاة الذين تولوا زمام امورها في اعقاب متعاقبة .(96).

ثم يذهب الى مكة المكرمة فيذكر المسافة بينها وبين المدينة المنورة ، واصفا احوال الحجاج عندما يقصدون مكة لغرض الحج فيقول :(والحجاج ينزلون هذه المنازل وغيرها من المناهل ويطول قدوم ويقصر اخرون على ما يذهبون اليه في المسير من السرعة والبقاء).(97).

وهنالك بعثة علمية اخرى تقترن باسم الخليفة الواثق سنة (227–230هـ/842–847م) روت حقائق ياجوج وماجوج .(98).

وقد وصف ابن خرداذبة هذه الرحلة :اراد الخليفة الواثق بالله بعد ان راى في منامه ان سد ياجوج وماجوج الذي بناه ذو القرنين قد انفتح ، فاراد من يقوم بمعاينة السد وياتي بالخليفة بخبره ، فالف بعثة تضم خمسين من اشداء الرجال يرأسهم سلام الترجمان لانه يتكلم عدة لغات ، وقال له الواثق اريد ان تخرج الى السد فتعاينه وتجيئني بخبره، وجهزت البعثة بلوازم سفرها ، ...، وزودهم بكتاب توصية لولاة الاقاليم التي يمرون بها لتسهيل مهمتهم . حتى وصلوا بلاد الخزر ، فاستقبلهم ملكها ووجه معهم

خمسة ادلاء فساروا بهم ست وعشرون يوما ، فدخلو ارضا خربة وساروا بها عشرون يوما :وهي الارض التي كان ياجوج وماجوج خرباها فوصلوا الى الحصون القريبة من الجبل الذي فيه السد ، وموضع السد كما وصفه سلام الترجمان جبل مستدير ذكرو ان ياجوج وماجوج فيه وهما صنمان ، وان ياجوج اطول قامة من ماجوج ، وطول احدهم ما بين ذراع الى ذراع ونصف والسد الذي بناه ذو القرنين هو فج بين جبلين عرضه مئتا ذراع فحفر ذو القرنين هناك اساسا يعمق ثلاثين ذراعا وبناه بالحديد ...، حتى بلغ وجه الارض ، يصف سلام الترجمان ضخامة بابه ،ووصف الحصنيين الذين عند الباب ، ويقول انه تحرا عما اذا حصل بالباب شق او غيره فلم يجد سوى شق دقيق كالخيط لا تاثير له بالنسبة لسمك الباب .(99).

وكان لاهتمام الخلفاء العباسيين بالرحلات العلمية بالغ الاثر في ازدهار الحركة العلمية والثقافية في العصر العباسي.ولمكانة العراق انذاك لكونة مركزا للاشعاع الحضاري العلمي ، وموضعا للعلماء ، فقد قصده الكثير من طالبي العلم ومن مختلف انحاء الدولة العربية الاسلامية .(100).مستفيدين من علومه وبراعة علمائه .(101).فمن العلماء الذين قصدوا بغداد الامام الشافعي .(102)

والبخاري ،واحمد بن جبير الانطاكي (ت 258هـ/871م) والامام عبد الله بن محمد السمناني (ت 303هـ / 915م) (ولد في خرسان وسمع بها ثم رحل الى بغداد وسمع بها الحديث).(103)..

ولم تقتصر رحلة العلماءهذه الى بغداد فحسب ، بل كانت تقودهم الى جهات اخرى استكمالا لجهودهم العلمية وبحثا عن حقيقة ما كانت للرحلات العلمية اهمية كبيرة بالنسبة لطالبي العلم ، لما يتلقاه من العلوم والاداب ، وقد وصف بن خلدون رحلة العلم بقوله :(ان الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة فريد كمال

في التعليم والسبب في ذلك ان البشر ياخذون معارفهم واخلاقهم تارة علما وتعاليم والقاء ، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة ، الا ان حصول ملكات عن المباشرة والتلقين اشد استحكاما واقوى رسوخا ...).(104).

و للرحلات العلمية فضل كبير في تواصل الوحدة الثقافية والعلمية بين ولايات الدولة العربية الاسلامية وبفضلها استمر تبادل الافكار بين سكان مختلف الاقاليم ونشر العلوم المختلفة .كما لا بد من التنويه ان بحثنا قد كشف عن اماكن الحركة العلمية والثقافية في عاصمة الدولة العربية الاسلامية في القرون الثلاثة الاولى من الهجرة وخاصة القرن الثالث الهجري وكانت تمثل صفحة مشرقة من صفحات تاريخنا وتراثنا الحضاري وان المراكز العلمية في العراق كانت تمثل مراكز الاشعاع الفكري والحضاري للدولة العربية الاسلامية التي ساهمت في الارتقاء بالعلم ومحبيه ومنها المجالس العلمية والمساجد والمناظرات العلمية والمكتبات ومجالس العلماء ومناظرات الخلفاء والاسواق ولا يسعنا ذكرها في هذا البحث المختصر .

•الهوامش

١ – شيخ سالم الصفار ، سيرة الرسول في القيادة والمناهج الانسانية ، بيروت 1999،ص13–14.

٢ – شيخ سالم الصفار ، سيرة الرسول في القيادة والمناهج الانسانية ، بيروت 1999،ص95.

٣ – طه،أركان ، الحركة العلمية والثقافية في عاصمة الدولة العربية الاسلامية في ق3هـ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة المستنصرية 2011،ص57.

٤ – محمود، نوال ناظم، التعليم في العصر العباسي الاول في العراق ،ص49.

٥ – البخاري ،صحيح البخاري ، ج1، ص68.

٦ – ياقوت الجموي ،معجم الادباء ،ج4، ص135.

٧ – معجم الادباء ،ج4، ص136.

٨ – ابو فرج الاصفهاني ، الاغاني ،مج4،ص47، طبعة بيروت.

٩ – ابو فرج الاصفهاني ، الاغاني ،مج3،ص173، طبعة بيروت.

١٠ –المزرباني ، الموشح في ما اخذ العلماء على الشعراء، شرحه مجد الدين الخطيبط2، القاهرة ، 1965م ،ص189–190.

١١ –ابن الجوزي ، مناقب الامام احمد بن حنبل ،ص189–190.

١٢ – الجاحظ ،البيان والتثبيت ،ج1 ، ط بيروت لا.ت، ص368–369.
١٣ – ابن جوزي ،القصاص المذكرين ، تحقيق مادلين سوارتز ، دار الشرق بيروت ،1971م، ص19.
١٤ – ضيف ، شوقي ، العصر العباسي الاول ،ط3، ص101.
١٥ – عويس ، محمد ، المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ ، البيان والتبيين ،ج3 ، ص347–348.
١٦ – مصلح ، فائق نجم ، التعليم في بغداد (145–245هـ)، ص432.
١٧ – الخطيب البغداد ، تاريخ بغداد ، ج5 ، ص162.
١٨ – مصلح ، التعليم في بغداد ، ص432.
١٩ – الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج12 ، ص247.
٢٠ – مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ج14 ، ص158.
٢١ – المزرباني ، نور القبب، ص86.
٢٢ – المزرباني ، نور القبب، ص225.
٢٣ – ابن حجر العسقلاني ، الاصابة في تمييز الصحابة ، ج23 ، ص158.
٢٤ – المفتي الحنبلي ، محمد بن مفلح ، الاداب الشرعية والمنح المرعية ، ج 2،دار العلم للملايين ، بيروت 1972 ، ص13.
٢٥ – ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، ج1، ص32.
٢٦ – ابن عبد البر القرطبي ، جامع بيان العلم ، ج1 ، ص117.
٢٧ – الموفق المالكي ، مناقب الأمام آبي حنيفة ،ج1، ص230.
٢٨ – محمود ، نوال ، كاظم ، التعليم في لاالعصر العباسي الاول في العراق ، ص57.
٢٩ – الاصبهاني ، في محاضرات الادباء ، ج1، ص21.
٣٠ – الحمداني ، خالد إسماعيل ، اثر فقهاء العراق في الحياة العامة في العصر العباسي (132–247هـ) اطروحة دكتوراه غير منشورة ، بغداد ،1995م،ص254.
٣١ – اليعقوبي ، احمد بن يعقوب ، البلدان ، مج7، ص258–259.
٣٢ – نفس المصدر السابق ، ص259.
٣٣ – الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج10، ص67.
٣٤ – اليعقوبي، البلدان ،ص250.
٣٥ – الأصفهاني ابوفرج قمر بن يعقوب، حلية الاولياء ، مج9،طهران 1971، ص73.
٣٦ – ابن النديم ،الفهرس ، ص73.
٣٧ – ياسين ، حسين ، المسجد واثره في تطوير التعليم ، مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، مج5 ، 1981،ص10.
٣٨ – المصدر نفسه ، ص81.
٣٩ – حسين امين، المساجد الاسلامية واثرها في نشر التعليم ، مجلة الاستاذ1963،مج12، بغداد ،ص95.
٤٠ – كتاني ، التراتيب الادارية ،ج3، 2218.

٤١ – البخاري ، صحيح البخاري ،ج1،ص22–23.
٤٢ – المصدرنفسه ،ص24.
٤٣ – المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج10، ص165.
٤٤ – الطبراني ، سليمان بن احمد ،المعجم الكبير ، ج2 ، بغداد1984،ص251.
٤٥ – ابن ماجة ، السنن،ج1، ص83.
٤٦ – الكتاني ،التراتيب الادارية ،ج1،ص221.
٤٧ – النووي، ابو زكريا محي الدين بن شرف ،تهذيب الاسماء واللغات ، دار الكتب العلمية ،ج1، ص265.
٤٨ – نفس المصدر السابق ، ص267.
٤٩ – ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ، تاريخ مدينة دمشق ، ج1،ص59.
٥٠ – ابن سعد طبقات ، ج1،ص345.
٥١ – ابن سعد طبقات ، ج3،ص531.
٥٢ – عياض ، ترتيب المدارك، ج2، ص16.
٥٣ – البخاري ، صحيح البخاري ،ج1، ص26.
٥٤ – ابن سعد ، الطبقات ،ج3، ص61.
٥٥ – ابن سعد ،الطبقات ،ج2،ص344.
٥٦ – اليسوب ، المعرفة والتاريخ ،ج1، ص512،
٥٧ – ابن حجر ، الاصابة في تمييز الصحابة ، ج2،ص25.
٥٨ – الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين في الحديث ، ج3، ص512.
٥٩ – هاشم جميل ، قصة الامام سعيد ابن المسيب ، ص26.
٦٠ – ابن سعد ، طبقات ، ج5 ، ص141.
٦١ – خليفة ، الطبقات ،ص258.
٦٢ – البسوي ، المعرفة والتاريخ ، ج1،ص682.
٦٣ – الخطيب البغدادي ، الجامع لاخلاق الراوي واداب السامع ، الرياض1983، ج1، ص192.
٦٤ – ابن عبد البر ، جامع بيان العلم ، ج1،ص135.
٦٥ – عياض ، ترتيب المعارك ، ج2، ص17.
٦٦ – الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ،ج2، ص396–397.
٦٧ – الطبري بيك ، تارك الامم الاسلامية، ج1، ص99.
٦٨ – نفس المصدر ،ص101.
٦٩ – ابراهيم ،خليل ابراهيم ، المظاهر الحظرية للمدينة المنورة ،ط1،ص74–75.
٧٠ – صالح ، العلي ، المدينة المنورة تطورها العمراني، ص135.
٧١ – السمهوري ، نور الدين علي ، وفاء الوفاء باخبار المصطفى ، ج3، ص830.

٧٢ –صالح العلي، المدينة المنورة ،ص183–184.
٧٣ –المصدر نفسة ، ص202.
٧٤ –السمهوري ، الوفاء الوفاء ،ص821.
٧٥ –ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج2،ص128.
٧٦ –السمهوري ، وفاء الوفاء ،ج3،ص855.
٧٧ –مسلم ، صحيح مسلم ، ج8،ص222.
٧٨ –السمهوري ، وفاء الوفاء ،ج3،ص861.
٧٩ –السمهوري ، وفاء الوفاء ،ج1،ص325.
٨٠ –صالح ، العلي ، المدينة المنورة،ص56–57.
٨١ –البخاري الصحيح ، ج5،ص50.
٨٢ –السمهوري ، وفاء الوفاء ،ج1،ص339.
٨٣ –المصدر نفسه ،ج2،ص530.
٨٤ –المصدر نفسه ،ص597.
٨٥ –هيكل ، محمد حسين ، حياة محمد ، ص220.
٨٦ –ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج1، الوفود .
٨٧ –البخاري ، صحيح البخاري ،ج1، ص20.
٨٨ –ابن عبد البر القرطبي ، جامع بيان العلم وفضله ،ج1،ص7.
٨٩ –الخطيب البغدادي ، الكفاية في علم الرواية ، ص569.
٩٠ –ال ياسين ، محمد حسين ، الدراسات اللغوية عند العرب الى نهاية القرن الثالث ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، رسالة باللغة العربية غير منشورة ،1977،ص384.
٩١ –ابن النديم،الفهرست ،ص304.
٩٢ –المصدر نفسه ،ص304.
٩٣ –ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج2، ص10.
٩٤ –الياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج17، دار المأمون ، ص284.
٩٥ –المصدر نفسه ،ص285.
٩٦ –اليعقوبي ، البلدان ، طبعة النجف ،ص33.
٩٧ –المصدر نفسه ،ص33.
٩٨ –اليعقوبي ، البلدان ،ص73–74.
٩٩ –ابن خرداذبة ، عبدا لله بن عبد الله ، المسالك والممالك ، لبنان ،1989، ص192–170.
١٠٠ –الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ،ج12، ص56–57.
١٠١ –الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ،ج2، ص56.

١٠٢ ابن خلكان، وفيات الاعيان ،ج3،ص56.

١٠٣ الخطيب الموصلي ، ياسين خيرالله العمري ، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد ، دار منشورات البصري ، 1968، ص266.

١٠٤ ابن خلدون ، المقدمة ،ص476.

•المصادر

القران الكريم

١. إبراهيم خليل إبراهيم ،المظاهر الحضرية للمدينة المنورة ،الموصل1984 0

٢. ابن الجوزي ،القصاص المذكورين ،خفيف مادلين سوارتر،دارالشرف ،بيروت .

٣. ابن الجوزي ، مناقب الامام بن حنبل ،ص .

٤. ابن حجر العسقلاني،الإصابة في تمييز الصحابة ،ج2،القاهرة،ترجمة صابرين عبدالله ،ص5 0

٥. ابن خرداذبة، عبد الله بن عبد الله ، المسالك والممالك، لبنان ،1989.

٦. ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج3،

٧. ابن سعد، الطبقات،(طبعة بيروت)،ج1 0

٨. ابن عبد البر القرطبي ،جامع بيان العلم وفضله ،ج1، المطبعة الخيرية ، مصر.

٩. ابن عساكر ،ابوالقاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت571ه)تاريخ مدينة دمشق ، ج1 0

١٠. ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، مصر1351ه.

١١. ابن ماجة ،السنن ،ج1، دار الكتب العربية ، القاهرة 1958.

١٢. ابن النديم ، ابو فرج محمد بن يعقوب ، الفهرست ،طهران 1971.

١٣. ابن هشام ،ابو محمد بن عبدالملك ، السيرة النبوية ، بيروت ،1971،.

١٤. ابو داود،سنن ابوداود،رقم الحديث (3855)3/4 0

١٥. اركان طه ،الحركة العلمية والثقافية في عاصمة الدولة العربية الاسلامية في القرن الثالث الهجري ،رسالة ماجستير غير منشورة ،الجامعة المستنصرية 2001 .

١٦. الاصبهاني، ابو نعيم ، حلية الاولياء ، مجلد التاسع ،.

١٧. الاصفهاني ، ابو فرج ، الاغاني، المجلد الرابع ، طبعة بيروت ،1955م.

١٨. ال ياسين ، محمد حسين ، الدراسات اللغوية عند العرب ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، رسالة في اللغة العربية غير منشورة .

١٩. البخاري ، صحيح البخاري، الاجزء الاول ،المطبعة الخيرية ، مصر،(لا.ت) .

٢٠. البسوي ، المعرفة والتاريخ، الجزء التاسع ، .

٢١. الترمذي ، محمد ابن الحسين ، صحيح الترمذي ، الجزء الثاني ، دار احياء التراث العربي بيروت ، 1987م، .

٢٢. الجاحظ ، البيان والتبين ، طبعة بيروت، (لا ت) ،.

٢٣. الجعفري ، ياسين ابراهيم علي ، اليعقوبي المؤرخ والجغرافي، دار الرشيد للنشر ، بغداد1980.

٢٤. الحاكم النيسبوري ، ابو عبد الله محمد ابن عبد الله ، المستدرك علة الصحيحين في الحديث ،الجزء الثالث ،مطبعة النصر الحديثة ، الرياض ،(لا ت)، ص512.

٢٥. حسين امين، كتاب المساجد واثرها في نشر التعليم ، مجلة الاستاذ، المجلد12، بغداد ،1963م/1964م.

٢٦. الحمداني ، خالد اسماعيل ، اثر فقهاء العراق في الحياة العامة في العصر العباسي (132/247هـ) ،رسالة دكتوراه غير منشورة ، بغداد ،1995م.

٢٧. الخضري بيك، الشيخ محمد ، تاريخ الامم الاسلامية ، الجزء الاول ، المكتبة النجادية ،1969م، .

٢٨. الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، الجزء الخامس،دار الكتاب العربي، بيروت،(لا.ت).

٢٩. الخطيب ، الكفاية في علم الدراية ، جزء12،دار الكتب ، القاهرة ،1972.

٣٠. الخطيب الموصلي ، ياسين خير الله ، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد ، دار منشورات البصري 1968.

٣١. السمهوري ، نور الدين علي بن احمد ، وفاء الوفاء باخبار المصطفى ، الجزة الثالث ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت ،1971، .

٣٢. ضيف ، شوقي ، العصر العباسي الاول ، الطبعة الثالثة ،القاهرة (لا.ت).

٣٣. الطبراني ، سليمان ابن احمد ، المعجم الكبير ، الطبعة الثانية ، وزارة الاوقاف ،بغداد ،1984–1990م، ص251.

٣٤. الطبري ، محمد ابن جرير ،تاريخ الرسل والملوك ، الجزة الثاني ،دار المعارف ،القاهرة،(لا.ت).

٣٥. العلي ، صالح ، المدينة المنورة تطورها العمراني ، بيروت ،1984م.

٣٦. عويس ، محمد ،المجتمع السياسي من خلال كتابات الجاحظ ، دار الثقافة المصرية ،1977م.

٣٧. عياض ،ترتيب المعارك ، الجزء الثاني ،.

٣٨. الكتاني ،التراتيب الادارية ، الجزء الثالث ..

٣٩. المتقي الهندي ، كنز العمال ، الجزء العاشر ، .

٤٠. محمود ، نوال كاظم ، التعليم في العصر العباسي الاول ،.

٤١. المزرباني ،المرشح في ماخذ العلماء على الشعراء ، شرحه مجد الدين الخطبي ، القاهرة ،1965،.

٤٢. مسلم ،الامام مسلم بن حجاج،صحيح مسلم ، الجزء الثامن ،شرح الامام النووي ، المطبعة المصرية ، دار الكتب العربية ، بيروت ،(لا.ت).

٤٣. مصلح ، فائق نجم ، التعليم في بغداد ،(145–245هـ)،طبيعته ووسائله في روايات الخطيب البغدادي ،.

٤٤. المعافري ، ابي محمد عبد الملك ، السيرة النبوية ، الجزء الثاني ، تحقيق محمد شحاته ابراهيم ، دار المنار ، القاهرة،.

٤٥. المقدسي ، الحنبلي ، محمد بن مفلح ، الاداب الشرعية والمنح المرعية ، ج2، دار العلم للملايين ،بيروت1972.

٤٦. الموفق المالكي، مناقب الامام ابي حنيفة .

٤٧. النووي ، ابو زكريا محي الدين بن شرف ، تهذيب الاسلام واللغات ، الجزء الاول ،دارالكتب العلمية ، بيروت ، بلا ت ،

٤٨. هاشم ، جميل ، فقه الامام سعيد ابن المسيب ، رئاسة ديوان الاوقاف ، بغداد 1974م،.
٤٩. هيكل ، محمد حسين ، حياة محمد(ص) ، القاهرة 1968م، .
٥٠. ياسين ، حسين ، المسجد واثره في تطوير التعليم ، مجلة دراسات تاريخية تصدرها لجنة كتابة التاريخ في جامعة دمشق ، العدد الخامس ، 1981م،.
٥١. ياقوت ، الحموي ،الادباء ، الجزء الرابع ،القاهرة 1936.
٥٢. اليعقوبي . احمد ابن يعقوب ، البلدان ، مجلد السابع ،بيروت ،(لا.ت) .

Places of learning and its impact on the intellectual life in the Arab Islamic state during the first three centuries of migration

Assistant Lecturer. Hamdi Hussein Alwan al-Tamimi

(Abstract Search)

The status of science and scientists in the Arab Islamic state a prominent place was a signal the Koran to this position by encouraging people to seek knowledge as well asgive a prominent place for science and scientists, as confirmed by the Sunnah to this position through the Hadith as well as through height and this is what encourages peopleto take care of these things are important to the progress of the state and society and to clarify the role of these centers of intellectual and scientific dealt study of mosques and their importance in the dissemination of science and knowledge as well as the types ofmosques, the most important has been shown that these mosques and places of scientific played a prominent and important role in the dissemination of science. The variety of trips in the application of science to the mosques and places other scientificand the mosque of more of the loop for information. Were concerned with the Abbasid caliphs flights scientific and the scientists status when the caliphs has contributed to the Abbasid caliphs encouraging scientific trips The discussion dealt with the description in the selection of these mosques and name and location and its role in dissemination of science.